الإبهار فى فضل عمل الســـر على عمل الجهار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشـــهد أن محمداً رسول الله، وبعد...

إن للعبد ذنوباً فعلها فى السر والجهر، ولذا رتب الله طاعات يؤديها العبد فى السر والجهر، ولا يغيب على الله منهما شئ:

ابن ماجه ٤٣٠/١ ح١٣٥٥ والبخارى ومسلم والنسائى وأبوداود والترمذى ومالك فى الموطأ عن ابن عبـــاس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا تهجد من الليل قال: (اللهم لك الحمد، أنت نـــور الـــسماوات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت مالك الـــسماوات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت الحق،و وعدك حق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصـــمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بك).

والطاعات المأمور بها منها ما يُطلَب أداؤه جهاراً عياناً ومنها ما يُطلب أداؤه سراً ، ومنها ما يُطلـــب أداؤه سراً وجهاراً:

ومن المأمورات التى يُطلب أداؤها سراً وجهاراً الـــتـــقـــوى:

أحمد ١٨١/٥ ح٢١٤٦٥ عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: (ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر مـــا أقول لك بعد). فلما كان اليوم السابع، قال لى:(أوصيك بتقوى الله فى ســـر أمـــرك وعلانيتـــه، وإذا أســـأت فأحـــســـن، ولا تسألن أحداً شيئاً وإن سقط سوطك، ولاتقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين).

ومن المأمورات التى يُطلب أداؤها جهاراً لا سراً: فرائض الدين من صلوات مفروضات وزكاة المال وحـــج بيت الله الحرام كل هذا يُطلب أداؤه جهاراً، ولا يُترك الجهر بها خوف الرياء:

أخرج البيهقى – منثور ٧٨/٢ – عن معاوية بن قرة رضى الله عنه قال: كل شئٍ فرض اللهُ عليك فالعلانية فيه أفضل.

أحمد ١٣٥/٣ ح١٢٣٢٢ عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: الإسلام علانية، والإيمان فى القلب. ثم أشار بيده إلى صدره ثلاثا يقول: التقوى ها هنا، التقوى ها هنا.
قلت: الإسلام أى أركان الإسلام الى عليها بُنِيَ، فهى تؤدى علانيةً ولو فعلها العبد سراً لاتُهِمَ فى إسلامه. ولقد كان الصحب الكرام يعتبرون مَن يتأخر عن صلاة الجماعة فى المسجد من المنافقين بّيِّنى النفاق. قال ابن مسعود: فلقد رأيتنا وما يتأخر عن الجماعة منا أحد إلا منافق بّيِّنُ النفاق.

وأما الطاعات التى يُطلب أداؤها سراً لا جهاراً:
١- سنن الصلوات:
فيستحب أداؤها فى البيت، استراراً بها، لا الفرائض المكتوبات فهى فى المسجد جهاراً:
البخارى ومسلم ح٧٨١ عن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا أيها الناس فى بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة).

وبيت لا يُتقرَّب فيه إلى الله تعالى هو قبر:
البخارى ومسلم عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا).

٢- قيام الليل: فهى عبادة يُستحب أن يخفيها المؤمن عن الناس، بل وأن يترصد أدائها حين غفلتهم:
الترمذى عن عبدالله بن سلاَّم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة انجفل الناس إليه لينظروه، فكان أول ما تكلم به أن قال: أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

بل وعبد يُخفى قيام ليله عن مرافقيه فى السفر لهو من أحب الناس إلى الله تعالى:
أبوداود والترمذى والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم – منثور ٨٠/٢ – عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله: فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة فتخلف رجل من أعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذى أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم

حتى إذا كان النوم نزلوا فوضعوا رؤسهم فقام رجل يتملقنى ويتلو آياتى، و رجل كان فى سريةٍ فلقى العدو فَهُزِموا فأقبل بصدره حتى يُقتل أو يُفتحَ له. وثلاثة يبغضهم الله: الشيخ الزانى، والفقير المختال، والغنى الظلوم.

أما قراتك القرآن فى قيام الليل، فالسر والجهر لمن استقام قلبه فهو سواء:

أحمد وأبوداود والنسائى وابن ماجه عن عبدالله بن قيس قال: سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر من أول الليل أو من آخره؟ فقالت: كل ذلك كان يفعل، ربما أوتر أول الليل وربما أوتر آخره. قلت: الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة، كيف كانت قراءته، يسر أو يجهر ؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما أسر وربماربما أوتر آخره. قلت: الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة، كيف كانت قراءته، يسر أو يجهر ؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما أسر وربماربما أوتر آخره. قلت: الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة، كيف كانت قراءته، يسر أو يجهر؟ **قالت: ربما أوتر آخره. قلت: الحمد لله ربما أوتر آخره.** ربما أوتر آخره. قلت: الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة، كيف كانت قراءته، يسر أو يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعلربما أوتر آخره. قلت: الحمد لله الذى جعل فى الأمر سعة، كيف كانت قراءته، يسر أو يجهر؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما أسر وربماصدقات فنِعِمَّى هى، وإنْ تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ويكفر عنكم من سيئاتكم، والله بما تعملون خبير"

٣- التصدق: فالصدقة الخفية أعظم أجراً من صدقة العلانية:

ابن المنذر – منثور ٧٨/٢ – عن أبى أمامة قال: قات يارسول الله: أى الصدقة أفضل ؟ قال: جهد مقل أو سر إلى فقير. ثم تلى: " إن تبدوا الصدقات فنعمى هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم،.. "

أحمد والطبرانى – منثور ٧٨/٢ – عن أبى ذر قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، قلت: فالصلاة يا رسول الله ؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر. قلت: فالصوم يا رسول الله ؟ قال: قرض مجزئ. قلت: فالصدقة يا رسول الله ؟ قال: أضعاف مضاعفة، وعند الله مزيد. قلت: فأيهما أفضل ؟ قال: جهد من مقل أو سر إلى فقير.

والعبد الذى يتصدق بالصدقة يخفيها لهو ذو مكانةٍ شديدٌ قدرها عند الله تعالى:

أحمد ١٢٤/٣ ح١٢١٩٣ بسند صحيح عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يـــا رب هل من خلقك شئ أشد من الجبال ؟ قال نعم، الحديد. قالت: ةيا رب هل من خلقك شئ أشد من الحديد ؟ قال:: نعم، النار. قالت: يا رب هل من خلقك شئ أشد من النار ؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب هل من خلقك شئ أشد من الماء ؟ قال: نعم، الريح. قالت: يا رب هل من خلقك شئ أشد من الريح ؟ قال: نعــم، ابـــن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله.

وصدقة السر تطفئ غضب الله على العبد المذنب:

ابن أبى الدنيا فى الحوائج والبيهقى فى الشعب – مثور ٧٩/٢ – عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صـــلى الله عليه وسلم قال: صدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر، وفعل المعروف يقى مصارع السوء.

وقد كان الصحب الكرام يحبون الاستزار بصدقاتهم:

أحمد ٢٦٢/٣ عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية: " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " و " مـــن ذا الـــذى يقرض اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة " قام أبو طلحة – وكان له حائط يسمى بَيْرُحاء – فقال يـــا رسول الله: حائطى لله، ولو استطعت أن أُسِرَّه لم أعلنه. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: اجعله فى قرابتـــك. فقسمها بين حسَّان بن ثابت وأُبى بن كعب.

وبالجملة: كانوا يهتمون بطاعاتهم التى يفعلونها فى السر ويخشون ضياع الأجر عليها إذا ما عرفها الناس:

الترمذى وابن ماجه ١٤١٢/٢ ح٤٢٢٦ عن أبى هريرة أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم: يا رســـول الله، إنى أعمل العمل فيُطَّلَعُ عليه، فيعجبنى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: لك أجران، أجر السر وأجـــر العلانية.

٤- وذكر الله تعالى يستحب قوله ســـراً، لا أن ينشره الرجل بين الناس، فخير الذكر الخفى:

ابن حبان ح٢٣٢٣ – صحيحة ١٨٣٤ – بسند فيه نظر أن النبى صلى الله عليه وسلم قـــال: (خيـــر الـــذكر الخفى، وخير رالرزق ما يكفى).

فالله تعالى يسمعك وليس هو بأصم ولا هو غافل عنك:

مسلم ٤١/١٧ ح٢٧٠٤ عن أبى موسى الأشعرى قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبا، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم. قال أبوموسى: فقال لى وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة إلا بالله: يا عبدالله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: قل: لا حول ولا قوة إلا بالله.

٥- وخشيتك و رهبتك لله وبكاؤك بين يديه، هذا مما يكون فى السر:

البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل، و رجل قلبه معلق بالمساجد، و رجلان تحابا فى الله اجتمعا علي ذلك وتفرقا عليه، و رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، و رجل ذكر اللهَ خالياً ففاضت عيناه.

والعبد الذى يُخفى طاعاته عن الناس ولا يحب الظهور بينهم هو حبيب لله تعالى:

مسلم ١٣٣/١٨ ح٢٩٦٥ عن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال: كان سعد بن أبى وقاص فى إبله فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل عمر، فقال لسعد: أنزلت فى إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعزن الملك بينهم ؟ فضرب سعد فى صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى.

وقد كان مثل ذلك العبد هو مغبوط عند النبى صلى الله عليه وسلم، مسرور به:

أحمد ٢٥٥/٥ ح٢٢٠٩٧ - بسند صحيح - عن أبى أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إن أغبط الناس عندى عبد مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظٍ من صلاة، أطاع ربه وأحسن عبادته فى السر، وكان غامضاً لا يُشارُ إليه بالأصابع، وكان عيشه كفافا، وكان عيشه كفافا، فعجلت منيته، وقلَّت بواكيه، وقلَّ تراثه).

ومثل هذا العبد قلبه نقى مملوء بالإيمان، مَثَلُ قلبه كمصباح يهدى الناس فى ظلماتهم:

ابن ماجه ١٣٢٠/٢ ح٣٩٨٩ عن عمر بن الخطاب أنه خرج يوماً إلى المسجد فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يبكى، فقال له عمر: ما يبكيك ؟ قال معاذ: يبكينى شئ سمعته من رسول الله

صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى لله ولياً فقد بارز اللهَ بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإن حـــضروا ولم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة.

ولكن كـــم من الناس يُعَمِّر ما بينه وبين الله بعمل الســـر؟

البخارى عن عبدالله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إنما الناس كإبلٍ مائة، لا تكـــاد تجـــد فيهـــا راحلة.

أخى الكريم:

روى أحمد عن خيثمة بن أبى عبدالرحمن أن عبدالله بن عمرو العاص قال لعبدالله بن عمر: سمعت النبـــى صلى الله عليه وسلم يقول: (من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره). قال خيثمـــة: فذرفت عينا عبدالله.

انتهى، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات.